حريق

الجامع الأموي بدمشق

سنة ٧٤٠ هـ

من الحوادث ذات الشأن في تاريخ دمشق ، ما كان يُصاب به المسجد الجامع بها من حريق . فلقد أحرقه المصريون متعمدين سنة احدى وستين وأربع مئة بغضاً بالدماشقة الشاميين وحقداً على خلفائهم الأمويين . ففقد المسجد بهجته ونضارته ، ورونقه وتزويقه [١] ثم جهد الملوك من السلاجقة ، والنوريين ، والأيوبيين ، والمماليك ، في إعادة المسجد الى سالف عهده [٢] ، وعُني بعض الولاة بتجديده [٣] . حتى اذا كانت سنة ٧٤٠ هـ أصيب المسجد بحريق كبير أتلف قسماً منه ، وأخذ ما يحيط به شرقاً وجنوباً ، من القيساريات ، والمدارس ، والأسواق . وقد كان لهذا الحريق أثر كبير في نفوس الفقهاء والعلماء ، والأدباء والشعراء ، وسنتكلم على ذلك ، ونتج عنه نتائج مزعجة . وقد لا يوازي هذين الحريقين في عظمهما إلا الحريق الأخير الذي أتلف المسجد في أيام العثمانيين .

وقع حريق سنة ٧٤٠ هـ في السنة الأخيرة من ولاية تنكز [٤] . ففي السادس

---

(١) عن حريق سنة ٤٦١ انظر : القلانسي ، تاريخ ص ٩٦ ، ٩٧ ؛ ابن كثير ، البداية ١٢ : ٩٧ - ٩٨

(٢) انظر أعمال هولاء الملوك في كتابنا « مسجد دمشق » ص ١٣ وما بعدها .

(٣) مثل تنكز سنة ٧٣٠ هـ . انظر المصدر السابق

(٤) ولي تنكز دمشق سنة ٧١٢ هـ وبقي الى أواخر سنة ٧٤٠ . انظر كتابنا : أمراء دمشق في الإسلام ص ٢٢

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عشر من شهر شوال ، شب [١] الحريق أوائل الليل ، بقيسارية الدهشة بسوق اللبادين . وكانت هذه القيسارية أمام باب الجامع الشرقي ، فتوصلت النار الى دكان فقاعيّ مجاورة للباب الشرقي - أي باب الساعات ، أو باب جيرون - ، ثم كشفت وجه الجدار الذي للمشهد المعروف بأبي بكر - وهو الذي في شرق المصلّى - ، ثم شبّت فبلغت أعلى المأذنة الشرقية فاشتعلت ناراً وتفجّرت أحجارها ، ثم سقطت على سقف المسجد الجملون ، حتى كادت تأخذ المسجد كلّه . فسارع الناس ، والعسكر جميعه ، وأمراء الألوف ، وعلى رأسهم تنكز إلى إخماد النار . فما خمدت إلا بعد يومين وليلتين .

وبعد ليالٍ - على قول ابن كثير [٢] - أو أسبوعين - على قول المقريزي [٣] - ، وقع حريق ثانٍ في قيسارية القوّاسين ، والكفتيين ، وسوق الخيل . وكانت هذه كلّها في جنوب الجامع . مقابل باب الزيادة - ويسمى باب الساعات أيضاً ، وباب العنبرانيين - ، فكانت الخسارة جسيمة عظيمة : عدم خمسة وثلاثون ألف قوس ، وعدمت للناس أموال عظيمة كان مبلغ ما للتجار منها خاصّة ألف ألفٍ وستّ مئة ألف دينار . ثم لفّت النار حول قيسارية القواسين فاحترقت المدرسة الأمينية - وكان بها سلاح للمسلمين - ، والخيميين ، وجاء نائب الشام تنكز والعسكر فأطفأوا النار في يومين وليلتين .

أثار نشوب هذين الحريقين المتواليين حول المسجد ، الشك في نفوس الناس والاستغراب ، فطفقوا يتساءلون عن الأسباب ، ولم يلبث أن وُجدت ورقة

---

(١) مصادرنا عن هذا الحريق هي : ابن كثير ، البداية ١٤ : ١٨٦ ؛ المفضل بن أبي الفضائل ، (مخطوطة باريز 4525) ؛ المقريزي ، السلوك ٢/١/٤٩٧ ؛ ابن فضل الله ، مسالك الأبصار ٢٠١ - ٢٠٢ ؛ ابن العماد ، شذرات ٦ : ١٢٦

(٢) البداية ، المصدر السابق

(٣) السلوك ، المصدر السابق

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

كتبها مجهول اسمه «المملوك الناصح» يذكر فيها أن الحريق يظهر إذا أمسك يعقوب غلام المكين كاتب الجيش . فأمسك وسئل . وما زالوا به حتى أخبرهم بالأمر . وتبيَّن أن جماعة من رؤوس النصارى ، بعضهم من كتّاب الدولة وعمّالها ، دبّروا أمر هذين الحريقين .

وقد عثرنا على نصّ المحضر ـ الذي كُتب يومئذ وأُرسل الى سلطان مصر ـ في مكتبة جامعة ليدن [١] . وهو نصّ مهم جدًّا [٢] ، لأنه يُظهر لنا كيف تآمر هؤلاء الكتّاب ، وأحرقوا المسجد . وثمة ناحية ثانية تزيد في شأنه هي أنه نصٌّ رسمي ، حكومي . والوثائق المماثلة له نادرة جداً .

ويتبين مما جاء في المحضر ، ومما ذكره المقريزي وابن كثير ، أن راهبين وردا الى دمشق من قسطنطينيَّة «ليجاهدا في الملّة الاسلامية ومعابدها ، وقد باعا نفسيهما على ذلك» ، اسم الأول «ميلاني» واسم الثاني «عازر» . فاجتمعا بعامل الجيش وكاتب الحوطات ، وثالثٍ كان كاتب بهادر أص [٣] . والثلاثة من النصارى . وكان «ميلاني» عارفاً «بصناعة النفط والنار» ، فاتفقوا «على حريق ما يقدرون عليه من أماكن المسلمين بدمشق» ، وقدّم لهم عامل الجيش ما يحتاجون اليه من نفط وغيره ، فعملوا سبع كمكات حشوها بارودا ونفطاً ودقّ فحم وغير ذلك ، وغيَّر الراهبان ملابسهما ، وأتيا الدهشة ، فتحيَّل أحدهما وجعل إحدى الكمكات في دكانٍ شرقي القيسارية ، ثم ألقى كمكة ثانية بين الدراريب ، ثم عادا الى حيث نزلا : في بستانٍ بقربة بجوبر .

---

(١) لبدن Cod. Or. 951

(٢) انظر المحضر في ذيل المقال

(٣) كان بهادر أص من أمراء الألوف بدمشق . وله تربة تعرف به . مات سنة ٧٣٠ . انظر الثاني من الدارس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ويذكر ابن كثير «أنهما تلطفا وعملا النفط لا يظهر تأثيره إلا بعد أربع ساعات وأكثر» . فلما كان الليل لم يشعر الناس إلاّ والنار عملت في تلك الدكاكين حتى تعلّقت في درابزينات المأذنة الشرقية المتجهة للسوق وكان ما كان من أمر الحريق الأول .

أما الحريق الثاني فقد تمّ على يد لحام نصراني كانت له دكان على باب قيسارية القوّاسين ، فقد دفعت الجماعة له خمس مئة درهم كي يضع كعكة من كعكات النفط في سقف الدكان ، فوضعها فشبّ الحريق الثاني .

-٢-

ونتساءل الآن لماذا وقع هذان الحريقان ، ومن دبر أمرهما .

الظاهر أن الهدف كان الإضرار بمسلمي دمشق بإتلاف أموالهم وتخريب مسجدهم . وقد كان النصارى يلجأون الى الحريق أحياناً بقصد الاضرار . وفي تاريخ مصر حوادث كثيرة تدل على ذلك . ففي سنة ثلاث وستين وست مئة ، أيام الظاهر بيبرس ، كثر الحريق في القاهرة ، واحترقت حارة الباطلية بأسرها ، وتبين أن النصارى هم الذين فعلوا ذلك[1] . وفي أيام الملك الناصر محمد ، سنة احدى وعشرين وسبع مئة قبض على راهبين من دير البغل رميا النار في المدرسة الهكّارية ، واعترفا أنهما أحرقا أماكن كثيرة في القاهرة[2] . وقد اتبع هذان الراهبان الطريقة التي سلكها راهبا دمشق ، من صنع الكعكات المحشوة بالخرق والنفط والقطران . ولعل هذه أول مرة يعمد فيها

(١) المقريزي ، المواعظ والاعتبار ١ : ٨

(٢) المقريزي ، السلوك ٢/١/٢٢٣

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

النصارى الى إحراق دمشق ومسجدها[١] . وقد سبقوا في حريق القاهرة[٢] .

وقد جاء في المحضر أن الراهبين اللذين أحرقا مسجد دمشق أتيا من القسطنطينية . ويذكر المقريزي أنهما أتيا ليجاهدا في الملّة الاسلامية ومعابدها . ويوضح ابن كثير ـ وقد كان أثناء الحريق بدمشق ـ «ان جماعة من رؤوس النصارى اجتمعوا في كنيستهم ، وجمعوا من بينهم مالاً فدفعوه للراهبين» . ولا شك أن من بين الرؤوس الذين يشير إليهم ابن كثير الموظفين الرسميّين الذين ورد ذكرهم في المحضر كعامل الجيش وكاتب الحوطات . ويخيّل لنا انه كانت صلة بين بعض نصارى البلاد ـ سواء في مصر أو الشام ـ ، وبين بعض الدول النصرانية ، فالمحضر يذكر أنّ الراهبين كتبا بعد الحريق الأول الى صاحب سيس يبلّغانه أمر الحريق ، وان صاحب سيس أرسل لهما الى دمشق تفرين وعرض عليهما إذا شاءا أن يكتب لصاحب السرب ليُكاتب السلطان . واذا كان المحضر لا يفصح عن غرض المكاتبة الى السلطان فإنه واضح أن ذلك من أجل حماية النصارى أو حماية الراهبين . ثم إن المحضر يشير الى عامل بيروت ، وكانت مهمته تجهيز الراهبين الى قبرص . كل ذلك يدفعنا الى الاعتقاد انه كانت سلسلة لها حلقات في سيس وقبرص وبيروت والقدس ودمشق والقاهرة ، تيسّر الإضرار بالمسلمين ، وتسهّل سبله . وكل ذلك من آثار الروح الصليبيّة التي كانت منتشرة يومئذ[٣] .

---

(١) بين حريق المسجد سنة ٤٦١ وحريقه سنة ٧٤٠ ، وقع فيه الحريق أو حوله أربع مرات : سنة ٥٦٢ ، وسنة ٥٧٠ ، وسنة ٦٤٦ ، وسنة ٦٨١ ، ولم تذكر المصادر أن النصارى هي التي سببت ذلك . انظر كتابنا « مسجد دمشق » والمصادر المذكورة فيه

(٢) انظر تفصيل مؤامرة رهبان دير البغل لحرق القاهرة في كتاب « اهل الذمة في الإسلام » تأليف « ترتون » الفصل الرابع

(٣) انظر : A. S. Atiya, *The Crusades in the Later Middle Ages* (London, 1938)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

- ٣ -

ماذا حدث بعد الحريق ؟

يبدو أن الراهبين فرا الى قبرص بوساطة عامل بيروت . أما نائب السلطان تنكز ، فلما تحقق لديه أن الحريق من فعل النصارى أمسك من رؤوسهم نحواً من ستين رجلاً - على قول ابن كثير - . ووجهت فتيا الى قضاة القضاة الأربعة بدمشق : تقي الدين السبكي الشافعي ، وعماد الدين الطرسوسي الحنفي ، ومحمد ابن أبي بكر المالكي ، وعلي بن المنجا الحنبلي ، سئلوا فيها إذا كان النصارى قد نقض عهدهم بما فعلوه ؟ وهل يلزمهم ضمان ما أتلفوه ؟ وهل يُقتلون أو يتفوّن ؟ الى غير ذلك . فأجمعوا على أن عهدهم ينتقض ، وأن أموالهم تؤخذ ، وأفتى الحنفي بقتلهم سياسة ، والمالكي بقتلهم لنقض العهد ، وسكت عن أمر القتل الشافعي والحنبلي . وقد عثرنا على نص الفتوى وأجوبة القضاة في مكتبة جامعة ليدن . وهي وثيقة هامة لها شأن (١) .

وعمد عندئذ تنكز - على قول ابن كثير - الى رؤساء النصارى هؤلاء فأخذهم بالمصادرات والعقوبات وأنواع المثلات ، وصلب منهم أزيد من عشرة على الجمال ، وطاف بهم في أرجاء البلاد ، فجعلوا يتماوتون واحداً بعد واحد ، ثم أحرقوا بالنار (٢) .

ويروي المفضّل ابن أبي الفضائل - وهو مؤرخ نصراني (٣) - رواية ثانية نقلها

(١) انظر نصها في ذيل المقال

(٢) البداية والنهاية ١٤ : ١٨٦

(٣) كان في القرن الثامن . له تاريخ اسمه « البهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد » منه نسخة مخطوطة في باريز ، الجزء الأول رقم 4525 . انتهى من جمعه سنة ٧٥٩ . وعلى هذه النسخة اعتمدنا . وما رويناه من النسخة مذكور في الورقة ٢٤٥ ب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

عنه المقريزي بنصّها ولم يشر اليه[١] . فيذكر أن تنكز سَمَّر أحد عشر رجلاً هم : المكين يوسف بن مجلى عامل الجيش ، وأخوه ، والمكين جرجس كاتب الحوطات ، والمكين [يوسف] كاتب بهادر أص ، وسمعان ، وأخوه بشارة ، والرشيد سلامة بن سليمان كاتب سنجر البشمقدار ، والعلم الدميتري عامل بيروت ، والجرائحي عيسى ، وجزاران نصرانيان ، وشخص يُعرف بسبيل الله[٢] . ولما سُمّروا وُسّطوا بعد يومين . ووُجد لهم ما ينيف على ألف ألف درهم أُنفق منها على عمارة الجامع[٣] والدهشة » .

واذا كان عمل تنكز قد أرضى المسلمين فإنه أغضب السلطان الناصر محمداً ، فكتب الى تنكز يُنكر عليه قتله النصارى ، وإنّ في ذلك إغراءً لأهل القسطنطينيّة بمن يَرِد اليهم من التجار المسلمين وقتلهم ، وأمره أن يحمل اليه ما وجد من المال مع النصارى ، وأن يجهز اليه بناته اللاتي عُقد لأولاد السلطان عليهن . فأجاب تنكز أنّ المال الذي وُجد للنصارى صُرف على عمارة الجامع ، واعتذر عن تجهيز بناته بما شغله من عمارة ما أُحرق . فلم يرض السلطان . وكان ذلك بدء تغيُّره عليه وعزله بعد شهر من ذلك وحمله مقيداً الى الاسكندرية ثم قتله هناك .

---

(١) في السلوك ٤٩٧/١/٢ . وقد أغار المقريزي على كتاب المفضل كما أغار على كتب الأوحدي

(٢) يذكر المفضّل أن هذا الرجل كان بالقاهرة سنة ٧٢٥ بزي غريب جداً ، يلبس جلداً ويحمل على كتفه زيراً نحاساً أندلسياً ، وبيده شربات كذلك ، ويقول بلسان عجمي (عجمي) « سبيل الله » ، ويسقي الناس بغير جُعل . فمن الناس من اعتقده ، ومنهم من اتهم انه جاسوس . ثم خرج حاجاً وقدم دمشق وأقام يسقي بها الماء حتى دخل مع النصارى فيما قاموا به من أمر الحريق . المصدر السابق . وكذا المقريزي

(٣) انظر وصف إعادة عمارة المنارة عند العمري ، مسالك ص ٢٠٠ و ٢٠١

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

- ٤ -

ذلك مجمل خبر الحريق من الناحية الرسمية الحكومية ، وما أحاط به . ولا بُدَّ من التنويه بأثر آخر من آثاره هو الأثر الأدبيّ . فقد هزَّ الأدباء والشعراء فنظموا وكتبوا عنه . فما عرفتُه كتاب ابن غانم الذي كتبه عن تنكز لنائب طرابلس ووصف الحريق فيه . ولم أعثر على نصه [١] . ونظم محمد الخياط قصيدة رائية في (٦١) بيتاً ، عثرت عليها [٢] . وألّف الصلاح الصفديّ مقامةً سماها « رشف الرحيق في وصف الحريق » [٣] . وكذلك ألّف ابن الوردي مقامةً ثانية سمّاها « صفو الرحيق في وصف الحريق » [٤] . وقصيدة الخياط ومقامتا الصفدي وابن الوردي جديرة كلها بالنشر .

(القاهرة) الدكتور صلاح الدين المنجد

(١) ورد ذكره في مسالك الأبصار ص ٢٠٣

(٢) في مكتبة جامعة ليدن ، وعندنا صورة عنها

(٣) منها نسخة في الاسكوريال ضمن كناش رقم 524 ، وعندنا صورة عنها

(٤) منها نسخة في معهد المخطوطات مصورة عن دار الكتب المصرية . رقم معهد المخطوطات ٧٨٩ أدب . ومنها نسخة ثانية في توبنجن

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

- ١ -

صورة المحضر الذي كتب بدمشق المحروسة

(مكتبة ليدن · Cod. Or. 951)

حضر الى شهوده يوم تاريخه : الرشيد سلامة بن سليمان بن مُرَجّى النصراني كاتب المقرّ العلمي سنجر الجمقدار الملكي الناصري · وشهوده به عارفون ، وأشهد على نفسه طائعاً أنه في شهر شوال سنة تاريخه حضر عنده في بستانه المكين يوسف بن مجلي النصراني عامل الجيش ، والمكين جرجس بن أبي الكرم كاتب الحوطات ؛ والمكين يوسف النصراني الراكيلي كاتب بهادر اص كان ، وأحضروا معهم راهبين أحدهما يسمى « ميلاني » - بعرف صناعة النفط - ، والآخر يسمّى « عازر » ، وذكروا أنّ الراهبين المذكورين حضرا من بلاد قسطنطينيّة · ثم انهم تحادثوا أن الراهب المسمّى « ميلاني » يعرف صناعة النفط والنار ، واتفقوا على حريق ما يقدروا (كذا) عليه من أماكن المسلمين بدمشق المحروسة · ثم إنهم توجهوا بعد ذلك الى بستان المكين يوسف الراكيلي بجوبر · وأقام الراهبان المذكوران عنده في طبقة على باب البستان المذكور · وأحضر لهم المكين عامل الجيش ما أرادوا من النفط والحوائج ، وعملوا سبع كعكات محشوة بارودا ونفطا ودقّ فحم وغير ذلك مما يعرفوه (كذا) ، وألبسوا الراهبين المذكورين قباءين تترية ، وتخفيفتين بيض ، وهورات ، ثم نزلا من البستان المذكور ، ودخلا الى الدهشة الأموية ، وقعد أحدهما على دكان شرقيّ القيسارية وعدّ على باب الدكان فلوسا ، وتحيّل حتى أدخل كعكة واحدة من تلك الكعكات ، ثم خرجا الى قصبة السوق البرّاني واشتريا قباء برد (؟) ، ثم بسطا القباء على أنهما يطويانه فانبسط أحدهما الى الدكان وألقى كعكة ثانية بين الدراريب ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وركبا من باب الفراديس دابتين وطلعا الى البستان المشار اليه وأخبرا بما فعلاه ٠ وفي تلك الليلة احترق الحريق الأول ٠ ثم إن المكين الراكيلي كتب ورقة وأرسلها الى (ا آ) المكين عامل الجيش والمكين جرجس عرفهما بصورة الحال ٠ ثم كتب الى الحاضر المسمّى أعلاه المشهود عليه ، وهو الرشيد ، ورقة وأرسلها مع مملوكه مبارك يعرّفه من جهة دراهم لناظر الجيش ، وفي آخر الورقة أن الشغل قد انقضى ، ثم إنهم كتبوا لهما كتاباً الى العلم الدميتري عامل بيروت أن يجتهد في تجهيزهما ويركبوهما من البحر الى قبرص ومنها الى البلاد ٠ ثم إنهم بعد ذلك أحضروا عيسى الجرائحي المعروف بابن ريش الروقة ، ووافقوه على أنه يتحيّل في إدخال النار الى داخل دكان اللحام المستجدّة على باب قيسارية القواسين ، وواعدوه بخمسماية درهم قبض منها ثلاث مئة ، وأخذ كمكة ثالثة واستمال النصراني ساكن الدكان حتى وضع الكمكة في سقف الدكان ٠ وفي تلك الليلة احترق الحريق الثاني ، وهو قيسارية القواسين وما معها ٠ ثم إنهم دفعوا خمسمائة درهم لخلوف النصراني الطوّاف على أنه يرمي حراريق دهن بأقطار البلد لينفي عنهم الظن بذلك ٠ ثم إنه حضر عندهم نفران من سيس معهم كتاب صاحب سيس يعرفهم انه بلغه خراب ما حول الكنيسة فإن كانوا يختاروا (كذا) أن يكتب الى صاحب السرب يكاتب مولانا السلطان الملك الناصر في ذلك يعرّفوه وفيه فصول كثيرة ٠ فتجهّز النفران المذكوران الى القدس الشريف فلما قدسا كتبوا لهما كتاباً من يوسف الراكيلي الى صهره المسمى بطرس كاتب المقر العالي طنبغا حاجي بقرية ريحا بالوصية بهما وإكرامهما ، وكتبوا كتاباً الى صاحب سيس قبل الحريق الثاني يعرفوه (كذا) بالأول ، وفيه فصول كثيرة ٠ وكتبوا فيه بالرد لمماليك الداخلة (؟) دمشق يعنوا (كذا) بذلك أكابر النصارى بدمشق ٠ وهذه صورة ما أقرّ به الحاضر المسمّى أعلاه من غير زيادة ولا نقصان ٠ والله المستعان ٠

في تاسع ذي القعدة سنة أربعين وسبعماية ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

- ٢ -

الله الموفق

صورة الفتيا

(مكتبة ليدن Cod. Or. 951)

ما قولُ أئمة المسلمين فيما اعتمده النصارى بدمشق المحروسة ، وحريق أوقاف الجامع الأموي عمره الله تعالى بذكره ، وحريق المأذنة الشرقية ، وأوقاف المدرسة الأمينية ، وما بها من سلاح المسلمين ، وغير ذلك من الأموال .

هل يُنقض بذلك عهدهم ، وهل يلزمهم ضمان ما تلف بالحريق ، ويؤخذ ذلك من أموالهم ؟ واذا انتقض عهدهم فما الحكم فيهم : هل يُقتلون أو يُنفَوْن الى بلاد النصارى ؟ وإذا كان متموّليهم (كذا) وكبارهم ورؤساؤهم شارطوا على حريق الجامع المذكور وحريق دمشق المحروسة بمال معلوم ، واعترفوا بذلك ، فهل يجب على هؤلاء المتمولين المستأجرين الضمان أم لا ؟ وهل ينقض عهدهم أم لا ؟ وإذا أسلم أحدهم فهل يصحّ إسلامه أم لا ؟ وإذا صح إسلامه فهل يصح إسلامه خاصة ؟ أو دمه وماله ، وهل ينجيه إسلامه من الضمان بسبب الحريق أم لا ؟ واذا كان لهم كبير وهو غائب عن البلد ، وهم يعتقدونه ولا يرون مخالفته وأمرهم بما فعلوه ، فهل ينتقض عهده أم لا ؟

أفتونا مأجورين .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جواب قاضي القضاة تقي الدين السبكي (١)

ينتقض عهدهم ، وتؤخذ أموالهم ، ولوليّ الأمر ، أعزّه الله تعالى ، صرفها في عوض ما تلف بالحريق المذكور منهم من وقف وعقار وقماش وغير ذلك من الأموال ويُثاب أعزّه الله تعالى على ذلك . والله أعلم (٢) . كتبه علي السبكي .

جواب الحنفيّة

نعم ، يلزمهم ضمان ما أتلفوه من الأموال والعقار والسلاح وغير ذلك . وإذا كانوا قد سعوا في الأرض بالفساد فللإمام أن يقتلهم سياسة ، وله إجلاؤهم عن أماكنهم الى موضع يراه الإمام من دار الإسلام ، ويكون ذلك مانعاً من فسادهم . واسلام مَنْ أسلم منهم لا يكون موجباً لسقوط ما وجب عليه (١ ب) من حقوق العباد من مال أو قتل . والله أعلم (٣) .

جواب المالكيّة

الجواب وبالله التوفيق

الحريق المذكور موجب لنقض العهد ممن صدر منه . ونقضُ العهد موجب للقتل . ومعلوم ما اشتمل عليه الفعل المذكور من المفاسد من خراب المأذنة والأوقاف وإتلاف السلاح المستعدّ للتقوّي على العدوّ المخذول ، وما قصد من

---

(١) أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي ، قاضي قضاة الشافعية بدمشق . توفي سنة ٧٥٦ . انظر شذرات الذهب ٦ : ١٨٠

(٢) لم أجد نص هذه الفتيا في فتاوى السبكي المطبوعة .

(٣) ليس في الأصل اسم قاضي قضاة الحنفية . وقد كان يومئذ عماد الدين الطرسوسي الحنفي ، وهو علي بن أحمد . توفي سنة ٧٤٨ (قضاة دمشق لابن طولون ، مخطوط ورقة ١٣٨)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إتلاف المسلمين وأموالهم وخراب مدينتهم وأماكنهم ، وما في إظهار ذلك من القوّة والجرأة على هذه الدولة القاهرة خلّد الله ملك مالكها ، وأدام اقتداره وأعزّ أنصاره وأهلك عدوّه ، ثم ذلك موجب لتضمين ما أتلفوه ، وأخذ ذلك من أموالهم ، ويُمنعون من الرجوع الى بلادهم ومساكنهم ونسائهم وكبارهم ، ومَنْ استأجروهم ، ومَنْ تواطأ معهم في الغرم ونقض العهد ، ولا يكون إسلام من أسلم موجباً لسقوط الضمان ، ولا مانعاً من أخذ أموالهم ، وإنما يكون موجباً لحقن دمهم إذا تبيّن صحة إسلامهم ، وينتقض عهد من أمرهم بذلك ممن له عهد ، ويصير حربياً . والله أعلم .

كتبه محمد بن أبي بكر المالكي [1] .

جواب الحنابلة

نعم ينتقض عهدهم بذلك ، ويتعيّن قتلهم ويلزمهم ضمان ما أتلفوه بذلك من الأوقاف والأموال وغيرها ، ولا يكون إسلامهم مانعاً من ذلك (٢ آ) وما بعد ذلك من أموالهم يكون فيئاً للمسلمين ، ومن واطأ على شيء مما ذكر وأعان عليه بوجه من الوجوه أو علم به ولم يُعلم به المسلمين انتقض عهده أيضاً . والله أعلم .

كتبه عليّ بن المنجا الحنبلي [2] .

---

(١) هو شرف الدين محمد بن ابي بكر الهمداني المالكي ، قاضي قضاة المالكية . توفي سنة ٧٤٨ . انظر ابن كثير ، البداية والنهاية ١٤ : ٢٢١

(٢) علي بن المنجّا ، قاضي قضاة الحنابلة . توفي سنة ٧٥٠ ، انظر شذرات الذهب ، ٦ : ١٦٧

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net